14 me Année No. 653

Lundi—7—1—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٥٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣ صفر سنة ١٣٦٥ — ٧ يناير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

أوربا والإسلام

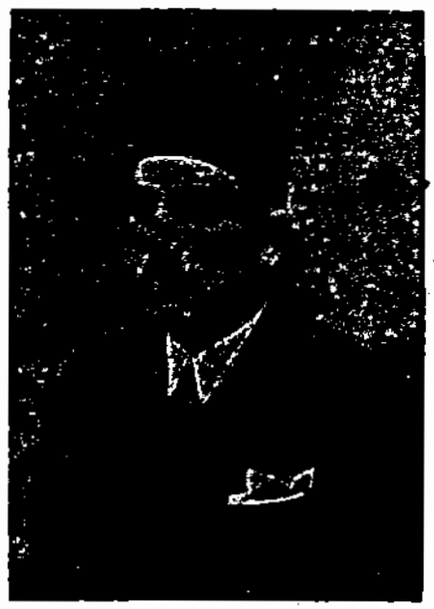

شيّع الناس بالأمس عاماً. قالوا إنه نهاية الحرب، واستقبلوا اليوم عاماً يقولون إنه بداية السلم. وما كانت تلك الحرب التى حسبوها انتهت، ولا هذه السلم التى زعموها ابتدأت، إلا ظلمةً أعقبها عمى، وإلا ظلماً سيعقبه دمار! حاربت الديمقراطية وحليفتها الشيوعية عدوتيهما الدكتاتورية، وزعمتا للناس أن أولاهما تمثل الحرية والعدالة، وأخراهما تمثل الأخاء والمساواة، فالحرب بينهما وبين الدكتاتورية التى تمثل العلو فى الأرض، والتعصب للجنس، والتطلع إلى السيادة، إنما هى حرب بين الخير والشر، وصراع بين الحق والباطل. ثم أكدوا هذا الزعم بميثاق خطوه على مياه (الأطلسى)، واتخذوا من الحريات الأربع التى ضمنها هذا الميثاق مادة للدعاية شغلت الإذاعة والصحافة والتمثيل والتأليف أربع سنين كوامل، حتى وهمَ ضحايا القوة وفرائس الاستعمار أن الملائكة والروح يتنزلون فى كل ليلة بالهدى والحق على روزفلت وتشرشل وستالين، وأن الله الذى أكمل الدين وأتم النعمة وختم الرسالة قد عاد فأرسل هؤلاء الأنبياء الثلاثة فى وشنطون ولندن وموسكو، ليدرأوا عن أرضه فساد الأبالسة الثلاثة فى برلين وروما وطوكيو! وعلى هذا الوهم الأثيم بذلت الأمم الصغرى للدول الكبرى قسطها الأوفى من الدموع والدماء والعرق؛ فأقامت مصر من حريتها وثروتها وسلامتها فى (العلمين) سداً دون القناة، وحجزت تركية بحيادها الودّى سيل النازية عن الهند، وفتحت إيران طرقها البحرية والبرية لتمير منها العتاد إلى روسيا؛ ولولا هذه النعم الإسلامية الثلاث لدقت أجراس النصر فى كنائس أخرى!

ثم تمت المعجزة وصُرِع الجبارون ووقف الأنبياء الثلاثة، على رءوس الشياطين الثلاثة، يهصرون الأستار عن العالم الموعود؛ وتطلعت شعوب الأرض إلى مشارق الوحى فى الوجوه القدسية، فإذا اللحى تتساقط، والقرون تنتأ، والمسابح تنفرط، والسوح تنهتك؛ وإذا التسابيح والتراتيل عواء وزئير، والوعود والمواثيق خداع وتغرير؛ وإذا الديمقراطية والشيوعية والنازية والفاشية كلها ألفاظ تترادف على معنى واحد: هو استعمار الشرق واستعباد أهله!

إذن برح الخفاء وانفضح الرياء وعادت أوربا إلى الاختلاف

والاتفاق على حساب العرب والإسلام !

هذه إيران المسلمة ، ضمن استقلالها الأقطاب الثلاثة ، حتى إذا جد الجد تركوها تضطرب في حلق الدب ثم خلصوا نجيا إلى فريسة أخرى!

وهذه تركية المسلمة ، واعدوها وعاهدوها يوم كانت النازية النازية تحوم على ضفاف الدردنيل ؛ وهم اليوم يخلونها وجها لوجه أمام هذا الدب نفسه يطرق عليها الباب طرقاً عنيفاً مخيفاً ليعيد على سمعها قصة الذئب والحمل !

وهذه أندونسيا المسلمة ، آمنت بالإنجيل الأطلسي وقررت أن تعيش في ديارها سيدة حرة ؛ ولكن أصحاب الإنجيل أنفسهم هم الذين يقولون لها اليوم بلسان النار : هولندا أورية ، وأندونسيا أسيوية ، ونظرية الأجناس ، هي القانون النافذ على جميع الناس !

وهذه سورية ولبنان العربيتان ، أقر باستقلالهما ديجول ، وضمن هذا الإقرار تشرشل ، ثم خرجت فرنسا من الهزيمة إلى الغنيمة ، واختلف الطامعان فخاس المضمون بعهده ، وبرّ الضامن بوعده . ثم قيل إنهما اتفقا ! واتفاقهما لن يكون على أي حال قائماً على ميثاق الحريات الأربع !

وهذه فلسطين العربية ، يفرضون عليها أن تؤوى في رقعتها الضيقة ، الشريد والطريد والفوضوي واللص ، وفي أملاكهم سعة ، وفي أقواتهم فضل ؛ ولكنهم يضحون بوطن العرب ، لعجل السامري الذهب ، ويتخلصون من الجرائم ، بتصديرها إلى أورشليم!

وهذه أفريقية العربية ، يسمعون أن ديجول أخا (جان دارك) قد حالف على أهلها الخوف والجوع ، ثم انفرد هو بمطاردة الأحرار حتى ضاقت بهم السجون والمقابر ، ولا يقولون له : حسبك ! لأن السفاكين أوربيون يؤمنون بعيسى ، والضحايا أفريقيون يؤمنون بعيسى ومحمد !

بل هذه هي الأرض كلها أمامك ، تستطيع أن تنفضها قطعة قطعة ، فهل تجد العيون تتشوف ، والأفواه تتحلب ، والأطماع تتصارع ، إلا على ديار الإسلام وأقطار العروبة ؟ فيأى ذنب وقع خمس البشرية في هذه العبودية المهلكة ، وهو الخمس الذي انبثق منه النور وعُرف به الله وكرُم فيه الإنسان ؟ ليس للثلاثمائة مليون من العرب والمسلمين من ذنب يستوجبون به هذا الاستعمار المتسلط إلا الضعف وما الضعف إلا جريرة الاستعمار نفسه . فلو كان المستعمر الأوربي صادق الحجة حين قال : إننا نتولى شؤون الشرق لتقوى الضعيف ويعلم الجاهل ويدفع المتخلف ، لوجد من العرب سنداً قوياً لحضارته ، ومن الإسلام نوراً هادياً لعقله ؛ ولكنه ورث الخوف من الإسلام عن القرون الوسطى ، فهو يساوره من بُعد ، ويعامله على حذر . وإذا عذرنا قسوس العصور المظلمة فيما افتروا عن جهالة ، فما عذر الذين كشفوا الطاقة الذرية إذا جمدوا على الضلال القديم وكتاب الله مقروء ودستور الإسلام قائم ؟ !

لقد فشلت مذاهبهم الاجتماعية كلها ، فلم تستطع أن تخلص جوهر الإنسان من نزعات الجاهلية الأولى ؛ فلم يبق إلا أن يجربوا المذهب الإسلامي ولو على سبيل الاقتباس أو القياس .

لا نريد أن نقول لهم : أسلموا لتحكموا ، وتعلّموا لتعلموا ، فإن هذه الدعوة يعاقها عن الغاية القريبة عوائق من العصبية والوراثة والتقاليد والعادة ؛ ولكنا نقول لهم : تصوروا نظاماً واحداً يصلح لكل زمان ومكان ، ويقطع أسباب النزاع بين الإنسان والإنسان : يوحد الله ولا يشرك به أحداً من خلقه ؛ ويقدس جميع الشرائع التي أنزلها الله ولا يفرق بين أحد من رسله ؛ ويؤاخي بين الناس كافة في الروح والعقيدة لا في الجنس والوطن : ويسوى بين الأخوة أجمعين في الحقوق والواجبات فلا يميز طبقة على طبقة ولا جنساً على جنس ولا لوناً على لون ؛ ويجعل للفقير حقاً معلوماً في مال الغني يؤديه إليه طوعاً أو كرهاً ليستقيم ميزان العدالة في المجتمع ، ويجعل الحكم شورى بين ذوي الرأي فلا يحكم بأمره طاغ ، ولا يصر على غيه مستبد ؛ ويحرر العقل والنفس والروح فلا يقيد النظر ولا يحصر الفكر ولا يقبل التقليد ولا يرضى العبودية ؛ ويأمر معتقديه بالإقساط والبر لمن خالفوهم في الدين وعارضوهم في الرأي ؛ ويوحد الدين والدنيا ليجعل للضمير السلطان القاهر في المعاملة ، وللإيمان الأثر الفعال في السلوك . وجملة القول فيه أنه النظام الذي يحقق الوحدة الإنسانية فلا يعترف بالعصبية ولا بالجنسية ولا بالوطنية ، وإنما يجعل الأخوة في الإيمان ، والتفاضل بالإحسان ، والتعاون على البر والتقوى . فإذا تصورتم هذا النظام ، فقد تصورتم الإسلام . وإذا أخذتم به فقد اطمأن العالم المضطرب واستقر السلام المزعزع . ولا يعنينا بعد ذلك أن تطلقوا عليه لفظاً يونانياً أو لاتينياً ما دمتم تسلمون وجوهكم إلى الله ، وتسلمون قيادكم لمحمد !

محمد عزة دروزة